شمعون بالاش ، **وضوح** (روايـــة اسرائيلية) (مكتبة العمال : ١٩٧٢)

« انا يعقوب دروري ، الذي يبلغ من العمر اربع وثلاثون عاما ، أعمـــل مهندسا للطرق ، وزوج مطلق ، وأب لفتاة ، وخلال الحـــرب جلست في المنزل لان الاطباء أعفوني من الخدمة . انني بعيد النظر تماما ، وعرفت نفسي ، ولن أكون منعزلا وحيدا مرة أخرى » . هذه الجمل ، التي يختم بها شمعون بالاش روايته ، تخفي في طياتها كلا من الظلام والوضوح معا : معنى انسحاق بطل القصة وعزلته وخلاصة الدرس-الذي استفاده من حياة الماضي والحاضر من اجل بدء مستقبل جديد . ولكن من اجل ادراك المغـــزى الخالص لهـــذه الخلاصة ، يجب فحص الاســس التي يقيم عليها القاص قصته .

ان يعقوب دروري ، بطل شمعون بالاش هو انسان **منطو على ذاته** . وعلاقاته بما يحيط به هي علاقة كمية في أساسها ، وذلك لان قناع وجهه مثـــل الرخام ولا يستطيع الاخرون التسلل عبره لفحص خفاياه ، ومع هذا ، **فهو كتاش** ، وفي بعض الاحيان حساس أكثر من اللازم ، **ومنسحق** — ولكن كل هذا ليس بلا سبب تماما . ان القصة التي تطرح حبكتها في الرواية ، هي قصة ذات وجهين هي الاخرى . فعلى مستوى الحبكة الروائية هي عبارة عن قصة متسقة منطقيا عن عدة ايام من ايام حرب حزيران ١٩٦٧ وما بعدها ، محورها لقاء ثلاثي بين البطل وزوجته السابقة التي ترملت من زوجها الثاني خلال الحرب وبين امرأة اخرى ، غرضية وظارئة ، تحط رحالها فجأة في عالمـــه المتعزل . وعلى المستوى الخاص بما فوق الحبكة الروائية تعتبر هذه الرواية قصة شخصية جدا لانسان منعزل ، يصل خلال الانجراف فـــي تيار الاحداث الموضوعية الى ادراك ذاتي وحساب جاد للنفس . وكل وجه من وجوه هذه القصة يكثف في طياته ارتفاعات وانخفاضات وجدير بالفحص الدقيق . ولنبدأ بالحبكة الروائية . تنحشر حدود هذه القصة ، كما قلنا ، في اطار ايام معدودة ، تبدأ من اول ايام العـــدوان ، وتنتهـــي بعـــد توقف رحـــى الحرب بعدة ايـــام ، بينما كـــان الجميع ما زال متأثرا بطابع ايام المعارك ومذهولا من نتائجها . ويعقوب دروري بطـــل القصة لا يستدعى الى الجيش ، وذلك لانه مصاب بداء في القلب ، يجعله غير صالح للخدمة العسكرية . وفي أيام المعارك ، يظل يتمشى في الشوارع الخالية ، ولا يجد له مكانا ويبحث عن غضب لدماره . والجو الذي يتجول فيه يشير كثيرا الى عزلته . وفيما عدا صديق يدعى زئيف ، كان يبحث عنه ، لا يوجد له في العالم نفس قريبة منه ، سوى ، ربما ، صديق سمين يعد له رسالة جوابية ، يستخدمها القاص وسيلة للكشف عن العالم الداخلي للبطل . والبطل يتوه في ممرات الجامعة وفي المكتب الذي تـــركه لاجازة ، والبطل يستقبل في كل مكان بمودة ودون مشاكسة ، ولكنه هو نفسه يشعر بالاسئلة التي لا تسأل . وفي يوم الانتصار ، بينما كان عائدا من منزل صديقه وحيدا بعد وجبة العشاء (التي أعدتها زوجة زئيف حسب وصفة زودها بها يعقوب — خط آخر لشخصيته) يستقل تاكسيا ، ويتورط في نزاع بين امرأة وشاب (ابن زوجها الذي في لندن) ويجد نفسه ، دون وعي تقريبا ، بين ذراعي تلك المرأة وفي احضانها . وفي الصباح حينما يودعها تغادره وهو لا يعرف اسمها على الاطلاق . وحينما يعود للبحث عنها بعد يومين — تكون قد سافرت عائدة الى خارج البلاد . ان الغربة تطارده حتى في مغامرته الطارئة . وفي هذه الاثناء يتلقى نبأ بأن زوج مطلقته قد قتل اثناء المعارك . ويسافـــر للاشتراك في جنازته ، ويرتبط من جديد بالعلاقة الاسرية البعيدة ويلتقي عرضا بابنته جيئيت ، التي كان قد تركها مع أمها وتتكر لها خشية ألا تكون ابنته بالفعل . ويولد اللقاء الجديد بغفرة (زوجته السابقة) موجة من الذكريات ، وحساب النفس والامال . وفجأة يتلقى رسالة من ريته (تلك المرأة التي التقى بها في التاكسي) وتصل اليه المرأة بشحمها ولحمها بسرعة ، وهـــي حـــرة مـــن زوجها الانجليزي ، وليس لديها مكان تقيم فيه ، لان شقتها تم تأجيرها اثناء غيابها وليست خالية الان . وفي هذه الاونة ، وبينما تقيم معه ريتة في بيته يدرك ان مصيره مرتبط بمصير عفرة . « هل كان كل هذا خطأ ، حسبما قالت عفرة — سأل يعقوب نفسه — هل كان من الممكن تسوية عدم التفاهم بينه وبينها لو كان قد ابدى شجاعة في الكشف عن مشاعره ؟ هل كانت كل الافكار التي فكر فيها عن الحرية الشخصية ، وعـــن العزلة وعدم الارتباط ، هل كان كل هذا هو ثمرة خطـــأ مصيري ؟ هل كان نتيجة خوف ؟ لقد خفت وفضلت